982



# خطاب صاحب الجلالة في افتتاح مؤتمر اتحاد المحامين العرب

**مراكش —** افتتح صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني المؤتمر الرابع للمحامين العرب بقصر المجلس البلدي لمدينة مراكش، بالخطاب التالي :

**الحمد لله والصلاة والسلام على مولانا رسول الله وآله وصحبه**

**حضرات السادة**

لسنا في حاجة لأن نقول لكم أهلا وسهلا، ذلك أولا لأنكم توجدون في بلدكم، وهذا من باب اللياقة، ولأنكم تنتمون ثانيا إلى أسرة عزيزة علينا وعلى شعبنا بكيفية مطلقة وتاريخية، علماً منا بأن ما بنيناه من بنيان وما حافظنا عليه من عمران، وما اسهمنا به بالنسبة للحضارة العالمية والاسلامية والعربية لم يكن كل ذلك في الامكان إلا لأن شعبنا منذ أن أراد الله له أن يكون أمة إسلامية، من صغيره إلى كبيره كان دائماً وأبداً متشبثاً بالقانون، وبالحق، وبالحقيقة.

فبعد هذه المقدمة الوجيزة أريد أن أقول لكم إنكم اتعبتموني الليلة الماضية، لأنني أعرف أن حرفتكم هي الكلام، فكيف يمكن لي أن أبيع لكم حرفتكم، ففي هذه اللحظة أرى نفسي في تناقض قانوني يجابه محامياً.

في الحقيقة لم تتعبوني كما قلت لكم مزاحاً، ولكن حاولت أن أجد موضوعاً فيه شيء من الجديد بالنسبة للقانون والقانونيين، وحينما تصفحت سجل الفنون والدراسات وجدت أن مهنتنا مهنة تستلزم دائماً أن يصل الانسان بنفسه وعقيدته إلى كنه الحقيقة.

فالقانون هو آخر المطاف، والحق هو الوسط، والحقيقة هي المنطلق، فالحقيقة هي شرط وجوب وشرط صحة، بل أقول شرط وجوب لكل ما يسمى بالحق سيكتسي بلباس القانون فيصبح مفعوله يروج في المجتمع مفعولا محترما من لدن الجميع.

## العقـل والتمييـز

أتصفح ككل مسلم كتاب الله ساعة ساعة فعثرت على هذه الآية التي فيها بعد بسم الله الرحمان الرحيم : «وإذ قال ربك للملائكة اني جاعل في الأرض خليفة، قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك، قال : اني أعلم ما لا تعلمون» صدق الله العظيم.

فالنهاية هي الاستخلاف، ولكن الاستخلاف تطلب من بني آدام جهداً مريراً مستمراً طيلة ملايين السنين، حينما هبط آدم وحواء إلى الأرض كانا في عزلة مادية ومعنوية، بل وجدا من الحيوانات ما لا يتصوره العقل، بل وجدا من صعوبات العيش ما لا يمكن أن نتخيله، بل وجدا نفسيهما أمام جميع المشاكل، لا لباس، لا سكن، لا قوت، ولكن الله سبحانه وتعالى أعطاهما قوة ليحاربا ضد الطبيعة، تلك الطبيعة التي كانت مكفهرة في وجوههم صباح مساء وطولا وعرضا، أعطاهم العقل والتمييز، ولكن ذلك العقل وذلك التمييز استعملاه أولا في إرادة الخلق، في استمرار الخلق، ذلك أنهما استعملا فكرهما وذهنهما للوجود وللاستمرار في الوجود، فاضطرت البشرية لمدة أن تعيش تحت ظل قانون الغاب، ولكننا نرى البشرية كلما سارت بها عجلة التاريخ تتسلق طود الرفاهية وجبال



العمران، وأصبحت تلك القوانين الغابية تظهر في شكل آخر، فاستعمل الانسان مرة أخرى عقله لينظم حتى قانون الغاب، فصارتْ الحروب حروبا، والسلم سلما رغم أن الحرب كانت تفيض أيامها على أيام السلم.

## الدفاع عن ملف القضية العربية

وهنا نحن اليوم وصلنا إلى تكنولوجيا عظيمة، وصلنا إلى أن نعيش في مأمن من البرد والجوع والحاجة، فهل يا ترى وصلنا بقوانيننا وبدفاعنا عن الحق وبتقصينا يومياً عن الحقيقة هل وصلنا فكرياً إلى المستوى الذي وصلنا إليه مادياً ؟ أو بعبارة أوضح هل تمكنا كجماعة تنتمي إلى سلالة واحدة ودين واحد لا كأفراد ندافع عن ملف هل وصلنا إلى أن ندافع كيد واحدة أو كرجل واحد عن الملف، ملف الجميع، ملف القضية العربية ؟ كلكم تعلمون أن العالم العربي يعيش في سماء جوها كثيف، وفي جو صراعه في بعض المرات عنيف، في جو من الاسبرين المصطنع، نعطي لأنفسنا الأسبرين حتى لا ننظر لملف العرب إلا من جانبه الصوري، وحتى نخذر أنفسنا ليلا نصل إلى تلكَ الحقيقة فنصرخ بها حقا، فنكسيها قانوناً وتصبح محترمة في المجتمع الدولي، إنكم حضرات السادة، ستدرسون ألنقط المعروضة عليكم في جدول الأعمال، تلك النقط التي تمت بصلة قريبة إلى مهنتكم، وإلى ما أنتم تنتسبون إليه بفخر وافتخار، ألا وهو مهنة المحاماة.

فأملي فيكم أن لا يكون لكم هدف آخر إلا أن تصلحوا بين أخويكم وهذه ظاهرة أخرى من المعجزة العربية، تلك المعجزة التي هي في كتاب الله، ان القانون الدولي لم ننتظر أن تخلقه لنا أوربا، بل سبقنا إليه كتاب الله، (وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما)، يقول المثل العربي «الواقع لا يرتفع» أحببنا أم كرهنا، ما هو موجود في الشرق العربي موجود، ولا يمكننا أن نمحوه بجرة قلم، ولا يمكننا أن نجعله غير موجود بالاصطدام في الكلام، بل من أقدس واجباتنا فيما إذا تطرقنا إلى هذه المواضيع أن نتطرق إليها بقلب سليم، ووعي وروح التسامح، يقول النبي صلى الله عليه وسلم — وهذه أظن يجب أن تكون من الحكم التي تبنى عليها مهنتنا أو مهنتكم أو مهنتنا نحن رجال القانون — «أعقل الناس أعذرهم للناس».

## الاخـلاص للحقيقـة

فالقانون هو كراس شكلا، والحق هو هدف، ولكن روح الشيء مستمرة في الحقيقة، وعندي اليقين أن كل من ملف سياسي لا يمكن أن يكون مخالفاً للملفات التي ننظر فيها كل يوم، ذلك أن في كل غلطة حقيقة، وفي كل كبوة حقيقة، المهم أن نبرز ما في تلك الكبوة أو في تلك الخطيئة من حقيقة ولو كانت ذرة حتى نخرج من القليل الخير الكثير.

## التسامح مقياس الحضارة

**حضرات السادة :**

إن العالم العربي يجتاز اليوم أزمة حرية وأزمة قانون، فأين البحث عن الحقيقة ؟ أين الجهر بالحق ؟ أين احترام القانون إذا انعدمت الحرية ؟ وكيف يمكن لنا أن لا نخجل أمام مرآتنا كل صباح ونحن نعلم أن ما ندرسه في المعاهد، وأن ما ننطق به في المحاكم لا ينطبق على شكلنا ؟ لا أقول هذا الكلام لأنفخ فيكم روحاً ثورية، أبداً، الحمد لله فيكم ما يكفي، لست في حاجة إلى ذلك، ولكن أظن أن هناك وسائل سلمية تثقيفية تربوية للمطالبة بالحقوق الضرورية، إياكم أن تنسوا أن الشاب العربي — لا يمكننا أن نعتقد — أنه سينمو وهو في معزل

عن الأخطار المحدقة به في المجتمع الدولي الذي نعيش فيه، فلذا دور الأسرة شيء، ودور الأساتذة شيء، ولكن إذا كان الأساتذة هم الأولون لا يؤمنون بالقوانين الضرورية أو بالحاجيات الضرورية من حرية، فكيف سيمكنهم أن يربوا جيلا يحترم نفسه ويحترم الآخر ؟ فالانسان الذي لا يعرف للحرية طعما ولا حقيقة لا يمكنه أن يكون ذلك المخلوق الاجتماعي، لأن المخلوق الاجتماعي، ألا وهو الانسان، عليه قبل كل شيء أن يعيش في التسامح، فالتسامح هو بالنسبة لي مقياس الحضارة، فإذا كان المربون وبالأخص الساهرون على القانون — قانون السير اليومي لا سير الحافلات ولا الدراجات، سير الجماعات بعضها مع بعض، سير الدول بعضها مع بعض — الذين هم مسؤولون عن سلامة السير يتجاهلون قوانين السير سنصبح كما قال الشاعر :

**إذا كان رب الدار للطبل ضارباً — فلا تلم الصبيان في حالة الرقص**

## مسؤوليتنا تجاه الأجيال القادمة

**حضرات السادة :**

إننا نأمل قوياً لأننا نؤمن بعبقريتنا العربية، نؤمن بأصالتنا، من منا هنا لا يدين بالاسلام ؟ ولكن ميزتنا كلنا أننا كلما أخذنا آية قرآنية فهمناها، وكلما درسنا حديثاً نبوياً خلقياً فهمناه.

فإذا كنا نحن الأبناء العرب، أبناء لغة الضاد ملمين بحقيقة شخصيتنا، وأصالة ماضينا، وإمكانات مستقبلنا، فمما لاشك فيه اننا سنضع للأجيال المقبلة، بل لجيل الغد أو بعد الغد، لجيل السنة المقبلة، ولجيل السنة التي بعدها، سنضع لهم سككا حديدية في متانتها، حريرية في عبقريتها، حتى لا يزيغوا عن الطريق، وحتى يكونوا من الذين يسهمون في احترام قوانين السير العالمية ليساهموا بدورهم في نشر السلم في عالم أصبح أحمق — يمكن لأجيالنا النبات أن تكون عضواً غير أشل لبناء هذا المجتمع السليم والمسالم.

## لقد آن أوان القلم والحكمة

ومن منا يمكنه أن يذكر الحقيقة والحق والقانون دون أن يذكر ملف إخواننا الفلسطينيين ؟ طيب كلنا نتكلم عن الفلسطينيين، منا من يتكلم عنهم بنية سليمة، منا من يتكلم لأنه في حاجة إلى حقنة من الرجولة، منا من يتكلم عنهم بكيفية ظرفية لأن الظرف السياسي المحلي أو الجهوي يفرض ذلك، ولكن أنتم ونحن الذين يعرفون الحقيقة، حقيقة الأرض، كيف كانت هذه الأرض في أوائل هذا القرن ؟ والذين عاش البعض منا في تلك الحقبة ومارس فيها حقه كمواطن وكمالك وكتاجر وكأستاذ، ألم يان لنا أن نترفع عن ما هو جانبي ؟ ألم يأن أن نستعمل المكنسة حتى نزيل القشور، تلك الأزبال التي تلوث جونا «واسمحوا لي على هذه الكلمة» فإذا كان هناك رجال يتصارعون بالقلم والحكمة ولا يستعملون آلة سوى هذا القلم فهم نحن، فإذا كان هناك جهاد مرير مستمر بالعقل دون خطر إراقة دم فهو جهادنا نحن رجال القانون.

## فلسطين أشرف معاركنا

فأملي أن يسيطر عليكم ويهيمن عليكم ملف القضية العربية وعلى رأسها القضية الفلسطينية، فإذا أنتم لم تجعلوا من أعمالكم ومن أهدافكم إلا دراسة المشكل والبحث عن حله، فلي اليقين ان في هذا المؤتمر وفي السنين المقبلة ستجدون ما يشغلكم الشغل الشريف عن المعارك الجانبية التي ربما يمكن أن تثار في مؤتمركم هذا،



وأنا أنزهكم عن أن تقعوا في فخ، وانزهكم عن أن تضيعوا وقتكم في الترهات، وفي فضح أعراض العرب.

ولنعمل جميعاً حتى نكون في مستوى ما أراده الله لنا حين قال : «وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم (الخلافة) «وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم» (الدين هو الحقيقة والعقيدة التي وصلوا إليها هي الحقيقة نجدها مرة ثانية، لأن الدين كما يقول الفقهاء يتعقل ولا ينقل) (وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً) الأمن هو الشيء الموجود، والمحافظة عليه دون بندقية ولا مدفعية، لأن الفضيلة هي التي تحيط به وترعاه من كل خطر.

وفقكم الله حضرات السادة، وأرجو لكم النجاح ومرة أخرى مرحباً بكم في بلدكم، وأنا مسرور مرتين كملك للمغرب، وقانوني مثلكم أن أعبر لكم باسم إخوانكم العشرين مليون من المغاربة من إقليم الداخلة إلى إقليم طنجة عن ترحيبهم بكم في بلدكم.

والسلام عليكم ورحمة الله.

الخميس 12 شعبان 1400 — 26 يونيه 1980